Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 **تاريخ النشر 2022/09/25**

قراءة في تحولات حقيقة نيتشه

خالد أحمد السباعي
قسم الفلسفة- كلية الآداب- جامعة مصراتة
khaledsebaie31@gmail.com

الملخص:

يُعد مفهوم الحقيقة من المفاهيم الكثيرة الطرح في الفلسفة، غير أن أيًا من تناولها لم يرق لنيتشه كما لم يجد في أيٍ منها ملامسة لما يجب أن تُتَناول به الحقيقة على النحو المطلوب، بل نظر إليها جميعًا على أنها محاولات بُنيت على خداع قديم اشتركت فيه فلسفات ميتافيزيقية وتفسيرات دينية ورؤى علمية، تتناول الحقيقة من حيث العرض مهملة الجوهر تاركةً الحقيقة في ذاتها، فكانت النتيجة الخلاف والاختلاف فيها باختلاف الزوايا التي جرى النظر من خلالها، فصارت الحقيقة مفهومًا متعلقًا بموضوع "أنطولوجي" محض بحيث يصير الموضوع قيد البحث يوصف بالحقيقة أو البحث عن حقائق نضفيها على شيء ليكون حقيقي!، وعليه صارت الحقيقة كما لو كانت شيئًا متعاليًا منفصلًا عن عالم الإنسان ذاته وهذا ما يرفضه نيتشه رفضًا قاطعًا، بل يذهب إلى عكسه من خلال الرجوع بها للأرض من تعاليها ويسلمها للإنسان نفسه، لجميع البشر بحيث لم تُعد حكرًا على أيديولوجيا أو معتقد ديني معين بما يكفل خلاصها من سطوة الفكر اللاهوتي، ولا صدق كلي لها إلا ذاك الذي يضفيه الإنسان انطلاقًا من بداهته بحيث يحصل التوافق بينه وبين ماهيته، وبما يضمن انفتاح "انكشاف" الحقيقة على كل الوجود، ومهما كانت صعوبة هذه المهمة فإن ذلك يهون عندما نتذكر في كل مرة أن ما الفلسفة غير السؤال عن الحقيقة، وفي نظر نيتشه حتى تنجز المهمة لابد لنا في هذا الطريق من أحكام قبضتنا على المطرقة لهدم كل "الأصنام" أو "القيم" الموروثة التي حجبت عنا الحقيقة وعملت على ترسيخ الزيف والوهم الذي ران على قلب الفكر الإنساني وطال به الأمد على ذلك "الموت"، وأنه آن الأوان للإنسان أن يحيا حياة الإرادة التي هي في مداها الأبعد ارادة للقوة، إنها معركة الإنسان مع ذاته التي تكون نتيجتها قيمًا جديدة تسلب العدمية ولا تبقي مكانًا للسلبية، ولينهدم فيها كل ما يضاد الحقيقة لتنكشف بعد ذلك الحقيقة ذاتها المرجوة، وتجرى بعد ذلك عملية تصحيح واسعة على نحو تشريحي يسقط على جانبيها كل الأوهام، والأخطاء، والكذب، والتزوير الذي جرى على الحقيقة منذ عهد سقراط حتى هيجل.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة – الميتافيزيقيا – الدين – العلم – الوهم.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

A reading in the metamorphoses of Nietzsche's truth

Khaled Ahmed El Sebaie
Department of Philosophy - Faculty of Arts - Misurata University

Abstract:
The concept of truth is one of the many concepts that have been mooted in philosophy, but none of those who dealt with it did not satisfy Nietzsche, nor did he find in any of their results a pen point touch with what truth should be dealt with as required. Indeed, he viewed them all as attempts based on ancient deceptions that were shared by metaphysical philosophies, religious interpretations, and scientific visions, dealing with the truth in terms of presentation, neglecting the essence, clinging to the appearance and leaving the truth in itself, and the result was disagreement, difference and contestation in it according to the different angles through which it was viewed, and the truth became a concept related to a purely "ontological" subject, so that the subject in question becomes described as the truth or the search for truths that we imposed on something to be real!. Therefore, the truth becomes as if it were a transcendent thing separate from the human world itself, and this is what Nietzsche rejects flatly, in turn he goes to the opposite of that by returning it to the earth from its transcendence and handing it over to man himself, to all human beings so that it is no longer monopolized by a specific ideology or religious belief in a manner that ensures its salvation from the hegemony of theological thought, hence, it has no absolute truthfulness except that which man imparts on the basis of self-evident, so that there is compatibility between it and what it is, and in a way that guarantees the openness of the "exposure" of the truth to all existence, no matter how this task is, it is insignificant when we remember each time that what philosophy is other than the question of truth, in Nietzsche's view, in order to accomplish the task, we must in this way tighten our grip on the hammer to destroy all the inherited "idols" or "values" that have been obscured the truth, and has established the falsehood and the illusion that ran over the heart of human thought, and prolonged it's duration. For Nietzsche, the time has come for a man to live a life of the will, it is man's battle with himself, the result of which is new values that take away nihilism and do not leave a place for negativity. Let all that contradicts the truth be destroyed, to reveal the desired truth after that, and then a wide process of correction takes place in an anatomical manner that drops on both sides of it all the delusions, errors, lies and falsifications that occurred on the truth from the time of Socrates until Hegel's erra.

Keywords: Truth – Metaphysics – Religion – Science –Illusion.

المقدمة:

ما يميز المفهوم الإشكالي هو تعقيده، ومفهوم الحقيقة مفهومًا إشكاليًا يكمن تعقيده في صعوبة تحديد مدلوله، خاصة لما كان يقف تمامًا كما لو أنه على مفترق طرق بين العُلوم والمعارف، فلكل علم حقيقته التي يتوخى بلوغها؛ لذلك تتعدد الحقائق بتعدد العُلوم والمعارف، لكن رغم ذلك لا علم منها بإمكانه تناول الحقيقة ذاتها بالدراسة والبحث، وحدها الفلسفة فقط من يبحث في كُنه الحقيقة ذاتها، وقد تناولها العديد من الفلاسفة بالدرس فوضعوا لها التعاريف، وقد نستشف مفاهيمًا لها عند غيرهم ولا نجد صعوبة في ذلك، ولكننا إن حاولنا ذلك مع نيتشه فإن أول ما يشدنا هو عمله الثوري المفرط لَما كان يرى أننا نعيش خداعًا عالميًا قديمًا فيما يتعلق بالحقيقة، وهذا الخداع لم يعرف نهاية له حتى عصره بسبب فصلها عن العالم الإنساني الأرضي وبعيدًا عن الحاجة الإنسانية، لذلك نجده يعترض بشدة عن تناولنا لها بصورةٍ متعالية عن عالم الإنسان، إذ المفترض وفقًا لوجهة نظره أن تكون متماهية مع الإنسان ومصطبغة على كل ما هو إنساني من رغبات وأمنيات، بحيث تجئ الحقيقة في ما نعتقده وليست في الأشياء ذاتها، بما يكفل نفعًا يُضاف للإنسان في حياته وبالتالي لا حقيقة إلا هذه التي هي داخل وضمن الحياة، وسنناقش في عرضنا هذا ما كان يرمي إليه نيتشه من فهمٍ للحقيقة وكيف بدت الحقيقة التي بحثها من سبقوه في وجهة نظره.

مشكلة البحث:

يدرس البحث مفهوم الحقيقة عند نيتشه بطريقة تتبع فلسفية محضة، من خلال عدد من مؤلفاته التي تضمنت رؤاه التي كثيرًا ما حاول من خلالها السعي لتعرية العمليات اللاواعية وتوضيح ما جرى إغفاله أو استغفاله من المفاهيم الفكرية والفلسفية وما ترتب على ذلك من خطأ وخلط دام في تاريخ الفكر الإنساني بلا نهاية، وقد دار الجدل الكثير حول ما عرضه لما كان بالأساس مدعاة محفزة لكل من عرف نيتشه وفلسفته، ويُعد مفهوم الحقيقة من بين تلك المفاهيم التي تسترعي النظر والوقوف عندها للبحث والدراسة، وعليه هل بالإمكان الوقوف على مفهومٍ لها بعينه أو يمكننا استنباطه لنقول بعد ذلك هذا هو مفهوم الحقيقة عند نيتشه.

أهمية البحث: يستمد البحث أهميته من أهمية المفهوم الذي يسعى لبحثه، خاصة وأننا أمام فيلسوف بحجم نيتشه الفلسفي يستحق أن يتناول بالبحث والدراسة، ففلسفته مشحونة بالرؤى ومضرجة

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

بالمضامين ومطلولة بالدماء الفلسفية التي تستوجب كما يَهُون الانكباب عليها بغية سبر غورها والوقوف على مفاهيمها ومراميها، ويزداد ذلك إلحاحًا علينا كلما أخذنا في اعتبارنا أننا إزاء فيلسوف غير تقليدي يسترعي الاهتمام.

أهداف البحث:

الهدف العام ويكمن في القاء مزيد من الضوء على هذا المفهوم بغية إثراء البحث الفلسفي، والهدف الخاص يتمثل في دراسة البعد الفلسفي لمفهوم الحقيقة عند نيتشه والكيفية التي من خلالها تبلور بها عنده، واظهار الاختلاف التي جرى للمفهوم بالنظر إليه عند غيره من الفلاسفة والفلسفات، ومن ثم كيف انبنى مفهومها عنده بحيث جعله يرفض أي مفهوم يُقام على غير الأساس الذي يُقيمه هو عليه.

منهج البحث:

يرتبط منهج البحث ارتباطًا وثيقًا بالمفهوم قيد الدراسة، وهو المنهج الفلسفي التحليلي التركيبي الذي قوامه تحليل النصوص، ومن ثم استنتاج المضامين الفلسفية المرتبطة بالمفهوم المراد بحثه ودراسته، حتى يجئ عرضه ضمن سياق من شأنه أن يُحدث فهمًا فلسفيًا له، مع التحول من حين لآخر للمنهج التاريخي بالنظر للحاجة إليه إلى جانب المنهج المقارن متى اقتضى الأمر ذلك.

غواية الحقيقة:

يرى نيتشه أن الحقيقة تمتلك جاذبية تمكنها من أسر البشر وايقاعهم في غوايتها، لما لها من مقومات تثير الرغبة المنطوية على المعرفة التي هي الإمساك بالسبب، فكل حقيقة يتم بلوغها لها صلة وثيقة ما بسؤالٍ مطروح عنها، والإنسان من حيث حدود سمعه "لا يسمع إلا تلك الأسئلة التي يستطيع أن يجد لها إجابات" (Nietzsche,1974,Sec,196,p.206)، ويحدث أن يكون السبب من وراء طرح السؤال شكاً ما، ولا يرى نيتشه في ذلك مانعًا أبدًا من الانطلاق منه نحو حقيقة ما على أن لا ينتهي لحقيقة تنال حكم موضوعي ثابت كما زعمَ ديكارت، الأمر الذي لم يقبله نيتشه من ديكارت حينما استمد موثوقية وجوده من تفكيره، أي أن تكتسب الحقيقة قيمتها من حقيقة أخرى؛ وذلك لأن هذا يعني باختصار فقدانها لقيمتها، وفي تقديرهِ أن ديكارت تسرع في ذلك رغم أنه امتدحه في مناسبة أخرى حينما استثناه عندما انتصر للعقل واعتبره "أب العقلانية (وبالتالي جد الثورة) الذي أقر بسلطة العقل فقط، لكنه عاد واعتبره سطحيًا حينما وجد أن العقل مجرد أداة عنده (Nietzsche,1989,Sec,191,p.104)"، فالحقيقة التي ينبغي أن تُطلب هي تلك التي لذاتها لا أن

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

تكون وسيلة لغاية ما، ولذلك كثيرة هي المحاولات لبلوغ الحقيقة وقد جرت جميعها بفعل ما للحقيقة من غواية، وبما أنها لم تكن من أجل الحقيقة ذاتها فهي لا ترضي إلا "القطيع" الذي هو الفطرة، أو كما يطلق عليه مسيحيًا "الإيمان" الذي يساق إليه الجموع أو "الحشد" الذين يمتعض منهم نيتشه وينأى بنفسه عنهم، خشية أن يلحق به شيئًا من التلوث الذي يغمر فكرهم وتفكيرهم، ولا يجب أن يُفهم من ابتعاده عنهم أنه لا يبالي بهمومهم وقضاياهم، بل بالعكس، حيث يحس بعذاب وآلام أعمق ما فيهم من أعضاء أجسامهم الداخلية "الجزء الأعمق "أحشاء" كل روح... لدي مِجسات استشعار نفسية مع الإحساس الذي ألمسه وأمسك بكل سر في يدي" (Nietzsche,1968a,Sec,8,p.21)، ولكن ما يُحتم عليه البعد بل الاعتزال عنهم هو ما يتمتع به من نقاوة من الكدر الذي اعتراهم، هذه النقاوة ذاتها والتي يرى ضرورة المحافظة عليها هي من مكنته من الإحساس بهم وبمعاناتهم، لذلك كان وسيظل "أسبح واستحم بصورة مستمرة كما هو الحال، في الماء، وفي أي نوع من العناصر الشفافة اللامعة النقاء" (Nietzsche,1968a,Sec,8,p.21)، ويقصد بالنقاوة طلب الأمور لذاتها وبعيدًا عن أي غاية دون كللٍ أو مللٍ لأنه يرى أن وجوده ينتهي بدون أن يفعل ذلك "كما هي عادتي دائما، النقاوة المفرطة تجاه شخصي هي شرط أساسي لوجودي، فأنا أهلك في ظل ظروف غير نقية" (Nietzsche,1968a,Sec,8,p.21)، واعتزالهم لا يضيق صدره ولا يدخل عليه البؤس أبدًا بل هو مصدر سعادة بالنسبة إليه ولا يتمنى أن يقتحم عليه أحد عزلته ليرافقه فيها، إلا من كان يدخل عليه سعادة على سعادته، ولا ينبغي أن يُفهم ذلك على أنه افتقار للإنسانية، بل بالعكس، فهو كما يرى أنه إنساني وإنساني جدًا "إن إنسانيتي لا تكمن في التعاطف مع الإنسان، ولكن في تحمل حقيقة أنني أتعاطف معه...فإنسانيتي هي التغلب على الذات بشكلٍ دائم، غير أني أجد العزلة ضرورية، أعني أن أقول العافية والعودة إلى ذاتي وتنفس الهواء الحر واللطيف..." (Nietzsche,1968a,Sec,8,p.21) كل هذه جميعًا أحب إليه من الاجتماع بالحشد وما يغويهم ولا ينبغي أن يكون ما يفتنهم يرقى إلى مستوى ما يفتنه، لذلك أراد "أن يكون لدي أسيجة حول أفكاري وحتى حول كلماتي، لئلا يقتحم الخنازير والمغشي عليهم حديقتي!" (Kaufmann,1988,Sec,2,p.301)، ويحتاط لنفسه بأن عليه أن لا يغويه ما يغوي غيره من ضيقي الأفق، فكل من يتسم بضيق الأفق تخيفه المساحات الرحبة من الحقيقة ويستسلم لأضيق وهم "احذر لئلا يسجنك إيمان ضيق...لأن كل ما هو ضيق ومتين يغريك ويستهويك الآن" (Kaufmann,1988,p.387)، وما يدعو نيتشه لذلك هو أن كل الذين استهوتهم الحقيقة وقعوا في

غواية ذلك الضيق، ضيق التطلُّع للحقيقة لا لذاتها وإنما لغاية، إلا أفلاطون وحده من قدم إبداعًا اعتبره نيتشه من أفضل ما طوته العصور القديمة ولكن جرى وأده في مهده، ولو لم يؤد لكان فيه الأمل في عدم وقوع كوابيس طيلة قرون متتالية أسرت أوروبا بأسرها وبقيودها "إن اختراع أفلاطون للروح المحضة والخير في ذاته جرى وأدها في مهدها، وعندما تتخلص أوروبا من هذا الكابوس، يمكن أن تتنفس مرة ثانية بحرية، وأن تتمتع على الأقل بنوم أكثر صحة، فنحن من تكون واجباتنا متيقظة ورثة كل القوة التي عززها النضال ضد هذا الخطأ، وكان الأمر بمثابة قلب الحقيقة وانكار المنظورية – الشرط الأساسي – للحياة، وأن تتحدث عن الروح والخير كما تحدث عنها أفلاطون، وفي الواقع قد يتسأل المرء بوصفه طبيبًا كيف هاجم هذا المرض أفضل نتاج للعصور القديمة" (Nietzsche,1989,p.2)، فضاعت فرصة التقدم بخطى واسعة بالحقيقة، وظلت في كل مرة تغوي والباعث على جعلها كذلك هو كونها مخفية مما يزيد في فعالية الالحاح في طلبها ولكن دونما فائدة.

لذلك حرص نيتشه كل الحرص في إثارة السؤال عن الحقيقة، رغبة منه في إماطة اللثام عن ما يجب أن تكون عليه لا ما يُراد لها وفق تَطلُّعات تخدم توجهات أصحابها ونزوعهم الضيق، وكان بحق وحقيقة كما قال عنه "ليستنبرجر" ”lichtenberger“ "نيتشه مثل طبيب النفوس الذي لا يرحم"، في إصراره على دفعها نحو الحقيقة التي يمكن من خلالها الوصول لتفسير مقنع للعالم من داخل العالم، والسؤال الآن هو لماذا كان للحقيقة غواية؟

الحقيقة أنثى:

إذن للحقيقة فتنتها الخاصة التي تجعل كل متطلع للإمساك بمعرفة ما ينجذب إليها، على أن هذا لا يفهم منه بأن هناك دافع حقيقي للمعرفة و"بغض النظر عن مسائل الفائدة والضرر، بل ذهب ذلك للحقيقة بصورة عمياء" (Nietzsche,1968b,Sec,423,p.227) وما يشجع على ذلك أنها ليست بشيء يستوجب قوى خارقة لبلوغه، وإنما في امكان كل البشر بلا استثناء نيلها إذا ما التمسوا السبيل السليم إليها لما كان كلٌّ منهم يمتلك الإمكانية المتمثلة في الحواس "فمن الحواس تنبع كل ثقة وكل ضمير صالح وكل دليل على الحقيقة" (Nietzsche,1989,Sec,134,p.88)، ثم أن كل ما يلزم المرء حتى يبلغها بموثوقية هو أن يكون موضوعيًا حسب رؤية نيتشه، والقول بإن يكون "موضوعي" هنا نرى أنه إن جاز التشبيه، كالقول بإن عقله كالصفحة "البيضاء الفارغة" ”Tabula rasa“ بالمعنى الذي عناه "أرسطو" في مقاله "في النفس" ”De Aima“حيث تكون على استعداد لتقبل كل ما يُخط عليها جراء

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

عمليات الإدراك والتجربة والانطباعات والتي هي المعرفة، وانعدامها هو "الجهل"، وبما أن الأمر كذلك من لزوم المرء أن يكون موضوعيًا وعقله "كالصفحة البيضاء"، لذلك يحصل أن يتشكل عليها ما يلوثها بمنتهى البساطة إذا لم يكن هو ذاته ولذاته، لا أن يكون ذاتًا لغيره وتتنفذ من خلاله إرادة الآخرين "إن الإنسان الموضوعي هو وسيلة وأداة قياس مكلفة وسهلة الإصابة والتشويه، وجهاز انعكاس ينبغي العناية به واحترامه، ولكنه هدفًا وليس نهاية ومخرجًا وإنسانًا مكملًا يبرر فيه بقية الوجود نفسه، فلا هو نهاية ناهيك عن البداية والولادة أو العلة الأولى، وليس شدة ولا قوة ولا تمحور حول الذات ولا إرادة سيادة، بل هو بالأحرى مجرد وعاء ناعم ومنفوخ ومتحرك، عليه أن ينتظر نوعًا من المحتوى لـــ"يتشكل" تبعًا له، خاصة وأنه في العادة إنسان لا محتوى ولا إطار له، إنسان "لا ذات له" (Nietzsche,1989,Sec,207,p.126-7)، يفتتن كلما كانت هناك جاذبية تستهويه إليها خصوصًا لو كانت تُحدث إضافة عليه أو تشبع نهمًا ما يعانيه والحقيقة تمتلك ذلك، إذ أنها تثير النفس المستعدة وتُحدث ما يؤثر عليها إيجابًا وإن شئنا قلنا "سلبًا" كذلك، ولماذا كانت الحقيقة كذلك؟ هذا لفت انتباه نيتشه وشغل تفكيره مليًا وخَلُصَ لرأيٍ يُمثلُ افتراض بداية ثم تدرج لإصدار حكم في النهاية، يمثلان عامل شد وانجذاب يغوي كل متطلع للحقيقة كما يكشفان طبيعتها التي لم يتسنى له استيعابها، فالأول حينما قال: "هب أن الحقيقة امرأة: ألا يوجد سبب للشك في أن جميع الفلاسفة بقدر ما كانوا دوجماطيقيين "أي من ذوي النزعة الاعتقادية" قد فشلوا في فهم المرأة" (Nietzsche,1989,p.2)، وما يريد نيتشه قوله بهذا هو أنْ لو كانت امرأة فإنه لن يقع في أحابيل غرامها ومحاولة كسبها إلا أولئك الفلاسفة "الدجماطيقيين" ووقوعهم هذا سيخرج بهم حتمًا عن الحقيقة التي تسعى إليها الفلسفة من جهة كما يثبت أنهم لم ولن يبلغو ما زعموا بلوغه من جهة أخرى، فيما الثاني الذي يُعد حُكمًا حينما قال: "وبعد كل شيء، الحقيقة امرأة يجب على المرء ألا يستخدم القوة معها" (Nietzsche,1989,Sec,220,p.149)، ويقصد أن لا يستعجل في اصدار الحكم بل إن شئنا القول يضعها بين قوسين على حد تعبير "هوسرل" ‘‘Husserl’’، وذلك لما كانت العديد من القضايا لا يحدث أن يتوافق فيها الرد الابستيمولوجي "المعرفي" مع الرد الانطولوجي "الوجودي"، وبعبارة أخرى، افتقار المعرفة للتطابق مع الواقع الذي يؤكدها، أما طبيعتها التي عجزوا عن استيعابها فهي تتضح ضمن محاولتنا الإجابة على السؤال المطروح والمتمثل في السبب الذي جعل نيتشه يحكم عليها بأنها "امرأة"، هل لأنه رأى قاسمًا مشتركًا بينهما؟.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

الواقع أن نيتشه كما قيل يسوق فلسفته في صيغة شعرية وعن قصد ربما و لم يخفِ ذلك "نريد أن نكون شعراء في حياتنا أولًا وقبل كل شيء في أصغر الأمور اليومية" (Nietzsche,1974,Sec,299,p.240)، لذلك نجده صاغ فكره في أدب متفلسف وشعر منثور مُرصع بالمجاز والاستعارات وبُنًى وأساليب بلاغية رائعة، ومعلوم أن "أحسن الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم"* لذلك نراه جعل للحقيقة هُوية مُقرنًا إياها بالمرأة رغم كره وبغض المرأة للحقيقة في رأيه "ولكن المرأة لا تريد الحقيقة— فلماذا تهتم المرأة بالحقيقة؟ ومنذ البداية، لا يوجد هناك ما هو أكثر غرابة أو بغضًا أو أكثر عدائية للمرأة من الحقيقة، ففنها العظيم هو الباطل وهمها الرئيسي هو المظهر والجمال" (Nietzsche,1989,Sec,232,p.163)، المظهر والجمال هما بالذات ما يجعلان من يبحثون عنهما يلهثون ورائها، وهما بالذات السر الذي ينكشف من خلالهما أنثوية الحقيقة، فجاذبية وغواية الحقيقة هما ما جعلاها أنثى في نظر نيتشه والمظهر والجمال فيها يكمن في المواضيع الفلسفية التي تنبني عنها وتترتب عليها من حكمة وخلود وغيرها ويصنفها نيتشه على أنها اناث، وإذا كان الكثيرون ممن يبحثون عن المرأة التي فتنتهم بمظهرها وجمالها ولكنهم يفشلون في كسب عنايتها وخطف ودها وقليل منهم من يحظى بذلك، فالأمر كذلك مع الحقيقة حيث تشترك في هذه مع الأنثى والمرأة، إلى جانب ذلك الأنثى مراوغة والحقيقة كذلك تتسم بالمراوغة، كما أن المرأة تختلف باختلاف الناظرين إليها والحال ذاته مع الحقيقة ولذلك "هناك أنواع كثيرة من العيون، وحتى أبو الهول له عيون، وعليه هناك أنواع كثيرة من الحقائق، ومن ثم لا توجد حقيقة" (Nietzsche,1968b,Sec,540,p.291)، كل هذه الجاذبية جعلت الكثير من الفلاسفة يندفعون مدعمين بجدية وتلهف نحوها غير أن "الجدية الشديدة والالحاح الأخرق اللذان توجهوا بهما عادة لتناول الحقيقة، كانت أساليبًا عادية تنقصها المهارة" (Nietzsche,1989,p.1)، وبالتالي استعصى عليهم بلوغ الحقيقة وضلوا طريقها حتى صارت "الطريق إليها طريقًا محرمًا، وعلى المدى الأبعد كما أن هناك من يجفل من المرأة ويبتعد عنها بعد أن أعياه أمرها ليرتاح منها لقبحٍ ما، فكذلك الحال مع الحقيقة وإن بصورة مختلفة "يتعافى الفيلسوف بشكل مختلف وبوسائل مختلفة: يتعافى على سبيل المثال، بالعدمية "Nihilism"، أي الاعتقاد بأنه لا توجد حقيقة

* "أحسن الكلام ما رقَّ لفظه، وتلألأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده على الطبع" لأبي حيان التوحيدي.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

على الاطلاق، الاعتقاد العدمي، وهو استرخاء كبير لمن هو كمحاربٍ للمعرفة، يحارب الحقائق البشعة بلا هوادة، وأي بشاعة ذلك لأن الحقيقة بشعة" (Nietzsche,1968b,Sec,598,p.325)، للحقيقة يقصدها نيتشه؟ غير الصدمة التي تترتب على انبلاجها.

ولما كانت الحقيقة أنثى لذلك تهافت عليها الكثير من الفلاسفة والمفكرين والمصلحين بمختلف توجهاتهم ببذل الجهود في سبيل تحصيلها واكتسابها، وكانت هي بدورها تمتنع وتنأى بذاتها عنهم لعدم قدرتهم على الإيفاء بما تتطلبه وتستسيغه.

لذلك السؤال عن ماهية الحقيقة مغريًا وكثيرًا ما طرح نفسه، ولكل فيلسوف مذهبه في الإجابة عليه ويجري تجاوزه ببساطة تامة، وهو الأمر الذي يستوقف نيتشه باعتبار أن هذا السؤال ليس بالبساطة المتصورة إطلاقًا، ذلك لما له من أثر يُحدثه وله صداه المدوي، حيث بإمكانه نسف (العهد الجديد) (New Testament) بأسره، خاصة وأن كلمة الحق وما تستلزمه من إقرار بالحقيقة قد جرى الازدراء بها كما أُسيئ التعامل معها دون خجل في نصوصه "لقد أُسيئ التعامل مع كلمة الحقيقة دون خجل أعني في العهد الجديد، بالقول الوحيد الذي له قيمة، وهذا في حال أردنا نقده ونسفه: ما الحقيقة؟" (Nietzsche,1931,Sec,46,p.135)، ولذلك ليست مهمة تحري الحقيقة سهلة أبدًا، وهذا يعود لطبيعة الحقيقة الحركية، والنظر الغالب لها على أنها ثابتة هو ما زاد في البعد عن بلوغها، فهي بالفعل بمثابة فضاء يتعين عدم النظر إليه على أنه شيء ثابت، وهذا الشيء يقع بالكامل خارج النشاط الذي يدرك من خلاله، فالنظر إليه على أنه شيء ثابت جعل من الحقائق تتعدد وتحمل في طياتها زيفًا، كما أن بحثه على أنه شيء منفصل عن من يدركه جعل منه متعاليًا، ولذلك سعى نيتشه للنظر إلى الحقيقة بصورة مختلفة تمامًا عن الصورة النمطية التي سادت طيلة العصور السابقة عليه، ومن خلال تتبعنا لتناوله لها تبين أن ثمة حقائق نالت تركيزًا أكثر من غيرها، وربما ذلك يعود إلى أنها أكثر أهمية في ما جرى الاهتمام به في العلم والمعرفة الإنسانية، بالرغم من الجدل الكثير الذي دار عن مفهوم نيتشه للحقيقة، أفضى بمحاولات تصنيفية لنيتشه تضعه في خانة الميتافيزيقيين تارة، والتجريبيين أو العقلانيين تارة أخرى، والواقع، أن تناوله لها يجعلنا نبتعد به عن كل تلك التصنيفات بما في ذلك تلك التي جعلت منه من دعاة التطابق أو النظريات البرجماتية للحقيقة، ولا نجد غضاضة في النأي به عنها جميعًا إذا عرفنا أنه لم يدخر جهدًا في دحض ومعارضة تلك الانقسامات التي تتقوم بها تلك التصنيفات، التي كان يرى أنها برغم ادعائها للحقيقة إلا أنها لم تكن لها حقيقة أبدًا، حيث استعصى تحقيقها بسبب سوء توظيفهم للمنهج

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

السليم إن لم يكن أسلوبهم بالأساس خاطئ للوصول إليها، وفيما يلي نستعرض بعض ما أمكننا استنباطه من حقائق تناولها نيتشه بالنقد من خلال مؤلفاته المختلفة.

أولًا الحقيقة الميتافيزيقية:

جرى النظر إلى الميتافيزيقيا على أنها التفسير العقلاني لجوهر الموجودات في ضوء المبادئ الأولى، وأنها أيضًا العلم الذي يحاول الوصول إلى الحقيقة المطلقة للأشياء والموجودات، ذلك أن الوجود وفقًا للفلسفة يقوم على جانب ظاهر وهو مرئي ونسبي ومحدود، وجانب آخر غير مرئي ومطلق ولانهائي ويسمى "موجود في ذاته"، فالأول هو موضوع للعلم، فيما الثاني هو موضوع للميتافيزيقيا خاصة وأنه لا يتفق مع الشروط الموضوعية للعلم تمامًا، والميتافيزيقيا من حيث علاقتها بالواقع المطلق ككل تعرف بالأنطولوجيا "Ontology" أو علم الوجود، ولما كانت الحقيقية عند تفسيرها الأبعد تتعلق بافتراضات ميتافيزيقية، لذلك كثيرًا ما تم تناولها على أنها ذات أساس ميتافيزيقي، وهذا ما جعلها أحد المواضيع الرئيسية والأكثر اتساعًا في الفلسفة، وما الفلسفة في أساسها غير بحث جاد عن الحقيقة، وبما أن الميتافيزيقيا في عمومها هي دراسة الوجود العام؛ لذلك فإن أي قوانين من شأنها أن تنطبق على الوجود بشكل عام بحكم كليتها تم الحكم عليها بأنها حقائق كلية.

على ما تقدم فإن الميتافيزيقيا معنية بكل ما لا يمكن بلوغه من خلال الدراسات الموضوعية للواقع المادي، ولها حقيقتها التي هي المطلق والذي لن يكون وفقًا لمن بحثوا في الميتافيزيقيا غير "الإله"، فصار كل مطلق بالضرورة مرتبطًا بوشيجة مباشرة بالإله، على اعتبار أن الإله أساسًا لكل مطلق، ولما كانت كل حقيقة متغيرة وخاضعة لظروف الزمان والمكان، كانت الحقيقة الوحيدة التي لا تخضع لذلك وتتصف بالأزلية هي حقيقة الإله، وإذا كان للوجود العام الكلي حقائق فهي أبدية أبدًا، ومن تلك الحقائق الإنسان ذاته الذي تعد الحقيقة من صميم وجوده، ومحكوم عليه بمجرد أن يصير على وعي بوجوده أن تتسع مداركه ويغدو ملامسًا للحقيقة السرمدية، وما يتعرف عليه ويصل لحقائقه ليس سوى وصول لمعارف كانت موجودة من قبل وستظل كذلك إلى الأبد، وهذه الحقائق الميتافيزيقية لها منطقها الخاص الذي بطبيعته لا يرتبط بالإدراك الحسي للإنسان كما هو الحال في العالم المادي، بيدَّ أنه يلمس آثارها من ذلك مثلًا علاقة العلة بالمعلول أو السبب بالنتيجة.

إذن للميتافيزيقيا حقيقتها، وهذه الحقيقة التي تنشغل بها تنشأ من خلال التأكيد على أن ما هو حقيقي هو بالدرجة الأولى روحي في جانب من جوانبها، وما هو روحي لا يحكم عليه بالنسبية بل بالإطلاق،

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

وهذا ما أدى إلى الحكم على الحقيقة الميتافيزيقية بالإطلاقية، وهو أيضًا ما يتفق تقريبًا على ما هو غير مادي من حيث كونه لا يقبل التقسيم والتجزئة لما كان غير متحيز بالمكان ولا متزمن بالزمان، وعليه يصح القول بعدم نسبيتها، لكن ذلك لا يعني أن النسبي غير حقيقي ولا وجود لحقيقة نسبية، لما كان للنسبي جذوره في المطلق ولولا الإطلاق لما كانت هناك نسبية والعكس صحيح، كما أن الحقيقة الميتافيزيقية متعالية تتعالى عن الحياة التي نحياها في هذا العالم، وعليه يرفض نيتشه تمامًا الحقيقة الميتافيزيقية لما كانت متجاوزة للعالم، ويقول بأن الحقيقة ليست شيئًا مستقلًا عن العالم الذي نعيش فيه، وإنما هي من مكنونه، وليست متعالية عليه أو متجاوزة له "ينكر نيتشه إمكانية وجود حقيقة متعالية أو ميتافيزيقية، والتي تقابل أو تطابق الطريقة التي تكون بها الأشياء في ذاتها، ولكنه يؤكد وجود الحقيقة التجريبية...وينكر نيتشه صحة أي عبارات ميتافيزيقية ولكنه يقبل العديد من العبارات التجريبية على أنها صحيحة" (Maudemarie,2002,p.5)، فالحقيقة من ثم، هي ضمن تجربتنا للواقع الذي نحياه وليس معنى ذلك أنها متوقفة في وجودها على تأكيدنا لها بواسطة العقل كما ذهبت إلى ذلك الفلسفة المثالية، في الوقت الذي لا تنفرض علينا من خارج ذواتنا ولو أنها ليست ذاتية، فالجهود التي بُذلت من أجل تكريس الحقيقة الميتافيزيقية لا تحظى بقبول نيتشه إطلاقًا، معتبراً إياها تعالج الحقيقة بطريقة بعيدة عن جوهرها، حيث تم النظر للحقيقة كـــ"وجود" متجاوز أو متعالي أي كـــ"إله"، وبالتالي من نظروا لها على هذا النحو يكونوا قد أقفلوا الباب على اعتبارها مشكلة في متناول الموجود البشري، بل يمضي أبعد من ذلك حينما يرفض العلم المُقام على اعتقاد ميتافيزيقي محض؛ ذلك لأن الميتافيزيقيا متعالية فإذا ما تم تناول موضوع ما بالبحث من طريقها، فإنه حتمًا سيأخذ طريقه نحو "التأليه"، ونيتشه يرفض ذلك تماماً ويصنف نفسه ضمن أولئك الذين لا يؤلهون إلهاً وأنه في الوقت ذاته من المناهضين للميتافيزيقيا "نحن الذين لا إله لنا ونناهض الميتافيزيقيا" (Nietzsche,1974,Sec,344,p.283)، لكن ذلك لا يعني أنه ينسف حقائق ميتافيزيقية أُثبتت على يد البعض، كتلك التي الأحكام التركيبة*

* كان "كانط" قد ميَّزَ ضمن دفاعه عن الميتافيزيقيا بين أحكام تحليلية وأخرى تركيبية.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

التي أوردها "كانط" "Kant" (1724-1804) مثلًا، فهل تراه يجد تبريراً لسوقها وإقرارها والمضي على هديها؟ الواقع، أن الإجابة على هذا النوع من الأسئلة وفقاً لنيتشه تعد ضربًا من "الكوميديا" أي الملهاة، لكن ذلك لا يمنع من أن يرى أن الأوان قد آن لنفهم أن "مثل تلك الأحكام ينبغي الإيمان بها على أنها حقيقة، من أجل حفظ الكائنات مثلنا ولا ينفي عنها ذلك خطأها أو زيفها، أو بتعبير أوضح وأقسى وأكثر سهولة، كان ينبغي للأحكام التركيبية أن لا تكون "ممكنة" على الإطلاق، ولا حق لنا فيها، وهي في أفواهنا ليست إلا أحكامًا باطلة، بطبيعة الحال أن الإيمان بحقيقتها ضروري فقط، كإيمان معقول ودليل محسوس ينتمي لأفق منظور من الحياة" (Nietzsche,1989,Sec,11,p.19)، إذن يقبلها لغاية وإن لم تؤديها فهي غير مقبولة بالجملة، وقد قبلها من واقع الإقرار بالذاتية المتمثل في عنصر "المحافظة" "Preservation" وبمعزل عن الموضوعية الخاصة بها، ولو أن نيتشه ينأى بنفسه كثيرًا عن الخوض في التمييز بين الذاتي والموضوعي أيًا كان ذلك التمييز "أترك لمنظري المعرفة "Epistemologists" التمييز بينهما، لكونهم أكثر من غيرهم وقعوا في احابيل القواعد أو (ميتافيزيقيا الجماهير)" (Nietzsche,1974,Sec,354,p.300)، وأن ما يشغله هو بدرجة أقل التعارض بين "الشيء في ذاته" والظاهرة "Appearance" والسبب هو كما رأى "أننا لا نعرف بصورة كافية حتى نخول أنفسنا للقيام بمثل هذا التمييز" (Nietzsche,1974,Sec,354,p.300)، "الشيء في ذاته" هذه المقولة التي لطالما تم التعليق عليها عند الميتافيزيقيين حتى أخفوا وراءها كل ما كسلوا في البحث عنه أو أعياهم أمره.

إن الشيء في ذاته مخفي ومحجوب ومغلق، لكنه مفتوح على كل إمكانات الإلقاء عليه، والإخفاء فيه، ولذلك يبدو كـــ"الثقب الأسود" القادر على ابتلاع كل ما يلقى إليه أو يقرب منه، وقد جرى توظيفه بصورٍ متكررة في الميتافيزيقيا منظورا إليه على أنه ضد الظاهر على الأقل في مسألة الحقيقة، الأمر الذي جعل نيتشه يصف الحقيقة الميتافيزيقية بالحقيقة الخادعة، وأن اللجوء لتمييز القيم من خلال أضدادها هو لجوء عنيد نحو الحماقة، فمن يقول بأن الشيء الذي يتمتع بقيمة عالية أو سامية يتولد أو ينشأ عن ضده، هو قول ممتنع بل من المستحيل حدوثه وتبرير حدوثه "أن تنشأ الحقيقة عن إرادة الخداع، أو الفعل الإيثاري الغيري عن "الأنانية" "Selfishness" والمصلحة الشخصية، أو الرؤية النيرة كوضوح الشمس لرجل حكيم عن الشهوة؟ مثل هذا النوع من التكون من المستحيل أن يكون، ومن يحلم به هو أخرق لا بل أسوأ من الأخرق" (Nietzsche,1989,Sec,2,p.10)، كما يُعيب نيتشه على الميتافيزيقيا لجوئها العنيد لاعتبار القيم العُليا ذات مصدر غير إنساني، والإنسان يلتزم بقيمة هو غير مشارك فيها بل

الدنيا التي يعيش فيها هي بذاتها ليست مصدرًا لها رغم أنها في حضن الوجود! "ينبغي أن يكون للأشياء ذات القيمة الأعلى أصل مختلف خاص بها، إذ أنها لا يمكن أن يكون مصدرها هذا العالم الفاني الخادع المغري الوهمي الوضيع، بل مصدرها في حضن الوجود في اللازائل، في الإله المخفي، في "الشيء ـــ في ـــ ذاته" ’’Thing-in-itself‘‘، هناك حيث مصدرها وليس في أي مكان آخر" (Nietzsche,1989,Sec,2,p.10)، وهذه الفكرة من حيث المصدر شبيهة بتلك الأفكار التي يسوقها المقدس، وكفيل بأن يجعل منها صنم إن لم يكن قد جعلها كذلك، وهو ما يقتضي التحطيم في نظر نيتشه الذي أخذ على عاتقه تحطيم الأصنام.

ولا يستثني نيتشه أيًا من الميتافيزيقيين في ذلك، بل جميعهم ساروا على هذا المنوال الخادع وأنهم اجتهدوا في ذلك وصارت لهم معارفهم ومنطقهم وحججهم التي يسوقونها للتدليل على ما ذهبوا إليه، كل ذلك في رأيه جرى باسم "الحقيقة" دون أن يشك أيًا منهم في ذلك، أو في الإيمان بفكرة تضاد القيم أو حتى إن كان هناك وجود للقيم أصلًا؟ ولو كان لأيٍ منهم أدنى شك لربما تجلى له أنها لم تكن تتجاوز مجرد تخمينات سطحية ومؤقتة من زاوية معينة "من أسفل إلى أعلى ربما "منظورات أشبه بـــ"منظور الضفدعة" كما لو كانت وفقًا لاستعارة التعبير الجاري بين الرسامين"(Nietzsche,1989,Sec,2,p.10)، وفي تقدير نيتشه أن وقوع الميتافيزيقيين في غواية الأضداد والتمايز بينها، "ربما" قد يكون ذلك قد جرى بسبب التشابه أو التقارب بين الأضداد، فأوقعهم ذلك في الخداع وكانت النتيجة مخادعة بطبيعة الحال، وللخروج من ذلك المأزق يرى أن علينا ترقب مجيء فلاسفة جدد ينفضون غبار أسلافهم وما ران على الفكر البشري من خطأ وظلال وانحراف وليس ذلك بمستحيل، حيث يتنبأ نيتشه بهم ويراهن على "ربما" التي تفيد الاحتمالية، تلك التي يكون لها الدور الخطير والأبرز في لعب ذلك ""هذه الــ "ربما" الخطرة؟ من أجل ذلك التمحيص ينبغي على المرء أن ينتظر قدوم منظومة جديدة من الفلاسفة، الذين لهم ذوق وميول مغايرة لأسلافهم بخلاف السائدة حتى الآن، فلاسفة الــ "ربما" الخطرة بكل معنى من المعاني، ولنقل بجدية تامة: إني أرى مثل هؤلاء الفلاسفة قد بدأوا في الظهور" (Nietzsche,1989,Sec,2,p.11)، وقد يعني بذلك أنه أولهم وأنه قد فتح باب إمكانية ذلك في المستقبل القريب.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

ثانيًا الحقيقة الدينية.

جرى النظر للدين على أنه المشترك الروحي للحياة الإنسانية، فالإنسان بطبيعته روحي وهذا ما يؤسس للحياة الروحية الدينية فيه، ويملك الحدس الذي له الدور الأسمى في الوعي بما يحمله من غموض يتماشى مع ما يسوقه الدين من إيحاء بقوة متعالية ومتجاوزة، وهي القوة التي يعول عليها من حيث العمل على الاستقرار الروحي للإنسان، من خلال ما يملكه الإنسان من سُبل التواصل التأملي بها، وهذا ما أضفى على الدين طابع القداسة المقام على أساس الافتراض الروحي المطلق، الأمر الذي من شأنه أن يجعل من المؤمن متشبث بمعتقداته ولا يتفحصها أبدًا، ويصير يرى فيها الحقيقة كما يستمدها منها ولا يخضعها للشك ولو لمرة، ويرى في كل ما نص عليه الدين بأنه حقيقة هو كذلك.

إذن الدين مصدر من مصادر الحقيقة لدى الإنسان، وتتسم الحقيقة الدينية بالإطلاق أي أنها حقيقة مطلقة، وما يجعل الإنسان مستعدًا لقبول ذلك هو ما أقيم للدين من اعتبارات سامية وتجاوز أو تعالٍ، بحيث صار معيارًا للحقيقة المطلقة السامية خصوصا لكونه يقود نحو الحياة المثالية ويرمي نحو الخير والسعادة الأبدية، بما يقدمه من مفاهيم لعل أولها مفهوم الوجود المطلق وما يتضمنه من صيرورة مطلقة يستوعبها الوعي الإنساني لكونها تمس وجوده وتتصل بحياته مباشرة ويستسيغ قبولها بصورة منطقية، إلى جانب كونه ينطوي على الحياة الأخلاقية المتضمنة للأحكام والقيم المنظمة للمجتمعات، وعلى هذا فإن هذه الفرضية الدينية المتمثلة في "الحقيقة المطلقة" تقدم للإنسان ما يبرر به القدر والتغير أو الصيرورة المستمرة في الحياة بوجه عام.

ما تقدم ذكره جعل من البعض يرى أن الدين أساسه الميتافيزيقيا، والايمان بالغيب غَذّى الفكرة بصورة أوسع، وذلك ما كان يراه "شوبنهاور"، حيث كان يقول بأن الحاجة الميتافيزيقية هي أصل الديانات، وهو الرأي الذي لا يتفق معه فيه نيتشه، إذ يرى العكس أي الميتافيزيقيا ليست إلا فرعًا عن الأديان، وذلك انطلاقًا من اللحظة التي يستحوذ فيها الدين على عقول طائفة ما، فيحصل أن تكون هناك أمكنة تمثل فراغات تجري نسبتها لعالم تارة يكون علوي وأخرى يكون سفلي أو حتى "خفي"، وذلك يعود لكونها لم تَحُز مكانًا ضمن ما أطلق عليه نيتشه "الهذيان الديني" “Religious delirium”، وبالتالي يحدث أن يترك ذلك الباب مفتوحاً للمعتنقين لذلك الدين بأن يلجأوا للافتراضات الميتافيزيقية التي من شأنها العمل على سد تلك الفراغات "إن غياب الهذيان من شأنه أحداث فراغ وحرمان مزعجين، ومن هذا الشعور يولد الإحساس بعالم آخر ميتافيزيقياً وليس دينيًا، بيدَّ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

أنَ الذي كان يؤدي إلى قبول حقيقة "عالم آخر" في العصور البدائية لم يكن دافعًا أو حاجة، وإنما خطأ في تفسير بعض الأحداث الطبيعية وعليه فإنه فشلٌ للعقل" (Nietzsche,1974,Sec,151,p.196)، وإذا كانت الميتافيزيقيا فرعًا عن الدين، وحقيقة الميتافيزيقيا خادعة كما سبق وأن رأينا، فإن الدين يذهب للقول بفكرة أخروية العالم، وهي الفكرة المتعالية الأخرى التي يرى نيتشه أنها قد تسربت للمسيحية من أفلاطون "لازلنا نستمد جذوة نارنا من الحريق الذي أُضرم من خلال الإيمان منذ ألاف السنين، وذلك الإيمان المسيحي الذي كان أيضًا إيمان أفلاطون الذي مفاده أن الإله هو الحقيقة وإن الحقيقة إلهية" (Nietzsche,1974,Sec,344,p.283)، وصارت بمقتضاها المسيحية ترى أن لا حقيقة إلا تلك الحقيقة "الإلهية"، وهذا في جملته حدا بالبعض إلى عدم الاستغناء عن الميتافيزيقيا حتى مع الدين، والحقيقة الدينية المطلقة من أجل وضع حد لما يجهله أو يخافه أو رغبة في يقين ثابت "لايزال البعض في حاجة للميتافيزيقيا، بيد أن هذه الرغبة المتهورة لليقين التي تتدفق اليوم وسط الجماهير في صورة علمية ـــ وضعية، هذه الرغبة في امتلاك شيء ما "ثابت" راسخ بكل السبل (بينما بسبب حماسة هذا المطلب، يكون المرء متهاونًا وأكثر اهمالًا بشأن اظهار اليقين)، وهذا من شأنه أيضًا أن يبقي الحاجة للدعم والسند أو الركيزة، باختصار، غريزة الضعف التي بالتأكيد لا تخلق أنظمة دينية ميتافيزيقية ومعتقدات من شتى الصنوف بل تحافظ عليها" (Nietzsche,1974,Sec,347,p.283)، وهذه القناعة لهذا المعتقد رأى نيتشه أنها هي السبب الذي دفع رجال الدين للوقوع في الغرور عن وعيٍ منهم، وقد تقزز من ذلك خصوصًا عندما جعلوا لأنفسهم المكانة السامية "المقدسة" تمييزًا لهم عن غيرهم "الحقيقة هي أن الغرور الواعي ممن اعتقدوا أنهم مختارين يخفي ذاته في ثوب التواضع، وبهذه الطريقة فإنهم الجماعة الأخيار والعادلون، يصفون أنفسهم كذلك مرة وإلى الأبد وأنهم في جانب الحق" (Nietzsche,1931,Sec,44,p.127) لقد استحضروا وهم قداسة الشخصية، وأحاطوا أنفسهم بها، بطريقة لا مثيل لها، فيما بقية الخلق صاروا ضحايا لذلك الوهم، والكذب، والزيف، ولا يحصل لهم الشرف ولو لمرة لكونهم ليسوا في جانب الحق والحقيقة، لدرجة أن نيتشه صنف ذلك الفعل بأنه من أبشع صور "جنون العظمة" الخطير "Grave paranoia" الذي لم يحدث أن جرى عبر تاريخ الحياة البشرية.

الثابت أن نيتشه كان يائسًا من الحقيقة الدينية برؤية العقل، وبالتزامن كان اتباع النزعة "الكانطية" الجديدة التي برزت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد يئسوا من كون العقل عضو في الحقيقة

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

الدينية، فالصدع بينهما أوسع من أن يؤرب؛ ولذلك حينما تحققوا من هذا تمامًا سعوا لتأسيس الدين حصريًا على أسس جمالية وأخلاقية، فضلًا عن ذلك، كره نيتشه كرهًا تامًا لما ذهب إليه رجال الدين من قولٍ بحقائق أبدية وثابتة ومطلقة، ورأى أنها لا تعدو عن كونها أحكام مثبطة محبطة لروح البحث كما أنها معيقة لإرادة الإنسان، وذهب لرد فكرة وجود عالم آخر، بل أيضاً لا وجود لما أطلق عليه "كانط "الشيء ــ في ــ ذاته" أي "النومئين" "Noumenon" وراء مظاهر الظواهر، كما يعتبر القول بما تُسمى "الحقيقة المجردة" مجرد وهم لا أكثر ولا أقل، وعالمنا الذي نحيا فيه لا حقيقة ثابتة له غير أنه في صيرورة سرمدية، ولا وجود لعالم غيره، وحتى يستقيم فهمه بشكل تام يجب اطلاق العنان للوعي الذي يملك القدرة على مواكبته، ولا يتسنى ذلك إلا بإلقاء كل حكم مطلق جانبًا وكل حقيقة قيل أنها مطلقة جانبًا أيضًا، ومن ثم يمكن للإنسان أن لا يقع فريسة للاغتراب الذي يتربص به الدوائر، فَعِلةُ الوجود إذن هي النزعة الإطلاقية لما تشكله من عائق لوعينا من شأنه أن يحول بينه وبين مواصلة الوعي، إنها تقطعه وتجعله يتلاشى في الغفلة، ولو تجاوزها فإنه سيواصل الوعي الذي يمكنه من فهم كُنه العالم، وبإمكانه ذلك حيث يمتلك من الحركة الذاتية ما يجعله في حركته وتحولاته لا يقل عن الحركة والتحولات التي تحكم العالم، خاصة وأن العالم محكوم عليه بالصيرورة ووعينا يمتلك التَصيُّر مع تلك الصيرورة، وما يغيظ نيتشه هو تمسك رجال الدين العنيد بهذه النزعة الإطلاقية "العائق"، مما دفع ذلك بالبعض في تقديره للارتقاء بالأخلاق إلى الروحي، سعيًا منهم في تذليل الفارق الذي جرى أحداثه ممن أحاطوا أنفسهم بالهالة الروحية دون غيرهم وادعوا الوصول للحقيقة المطلقة وقاموا بحجبها عن محدودي الروح، فالارتقاء بالأخلاق إلى الروحي من شأنه أن يعوض من لم تُجزَل عليهم العطايا وأن يكون" مقياس يساوي بينهم وبين من أُغدقت عليهم نعم الروح وامتيازاته، فهم بذلك يناضلون في سبيل المساواة بين الجميع أمام الله" (Nietzsche,1989,Sec,219,p.147)، ولا يجد فعلهم ذلك عند نيتشه إلا قولًا مجاملًا معتبرًا فيه أن "الروحية العالية نفسها ما هي إلا نتاج أخير للصفات الأخلاقية، إنها توليفة من جميع الصفات المنسوبة إلى الإنسان "الأخلاقي فقط"، بعد أن جرى اكتسابها بصورة فردية من خلال التدريب والممارسة الطويلة" (Nietzsche,1989,Sec,219,p.148)، ومن شأنها أن تأخذ كل ما تعارف عليه بأنه من القيم إلى "الروحنّة" "Spiritualizing" ومن ثم إلى الحفاظ على تسلسُلية متدرجة في العالم ليس بين البشر فحسب بل حتى بين الموجودات والأشياء.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

مما سبق يتضح لنا أن نيتشه يرفض الحقيقة الدينية بالمطلق، ولا يدع مجالًا للنظر فيها بأي صورة من الصور، انطلاقًا من ايمانه بأن الحقيقة عالم مستقل بذاتها ولذا فهي لا تنتمي لفئة، فهي ليست أخص حتى تنتمي إلى ما هو أعم منها، ولما كان رجال الدين قد جعلوا منها تنتمي إلى عالم الإيمان لذلك أوضح نيتشه الاختلاف بينهما "إن الحقيقية والايمان عالمان مختلفان من الأفكار متعاكسان تقريبًا، فالطريق لكلٍ منهما يقع على بعد أميال عن بينهما، وفهم تلك الحقيقة تمامًا كان كافيًا في الشرق لجعل المرء حكيمًا، فقد عرفه البراهمة ''Brahmins'' وكذلك عرفه أفلاطون، وعرفه كل طالبٍ للباطنية الروحية" (Nietzsche,1931,Sec,23,p.76)، ويلقي نيتشه اللوم والمسؤولية على الكنيسة بصورة مباشرة باعتبارها هي التي أفسدت مناخ الحقيقة العام، وروجت للزيف والكذب "الكنيسة المسيحية لم تترك شيئًا إلا وطالته بفسادها، فقد حولت كل قيمة إلى لا قيمة، وكل حقيقة إلى كذب، وكل شرف إلى وضاعة نفس" (Nietzsche,1931,Sec,62,p.180)، وما على المؤمن إلا الاتباع وإياه أن يعترض على ما يراد له من فهم جاهز يساق إليه، بل ليس من حقه تمحيصه حتى مع نفسه "المؤمن ليس حرًا في أن يبحث في مسألة "الحق" فوفقاً لإملاءات ضميره فإن النزاهة في هذه النقطة ستعمل على سقوطه الفوري" (Nietzsche,1931,Sec,55,p.155)، وهذا السقوط سيكون مرة وإلى الأبد، خاصة وأن المسيحية قد جعلت للحقيقة معيارًا لا يجوز المساس بما هو دونه ولا بما يتجاوزه، وبدوره هذا المعيار يبعث على الطمأنينة والسعادة بين المعتنقين، وأطلقت عليه "اختبار القوة" ''Proof by power''، فبقدر قوة الإيمان تحصل سعادة المرء "هناك نوعًا من معيار الحقيقة يسود بين المسيحيين يسمى "اختبار القوة"، الايمان يجعلنا سعداء: ومن ثم فهو حقيقي" (Nietzsche,1931,Sec,50,p.141)، والحقيقة أن ذلك لا يعدو عن كونه تلبيس للحقيقة ثوب الباطل، وإيهام للمعتنقين بغرض اقتيادهم والسيطرة عليهم وتوجيههم نحو ما يراد لهم، على أن ما قام به رجال الدين مخالف تماماً لما أراده المسيح نفسه، ربما لم يفهموه أو أنهم فهموه وعموا وأصروا على العمى "مع حرية محدودة في استخدام الكلمات يمكن للمرء في الحقيقة أن يدعو يسوع "روحاً حرة"، لأنه لا يبالي بما هو مؤسس: فالكلمة تقتل وكل ما يَمُت بصلةٍ لعقيدةٍ يقتل، وفكرة الحياة كتجربةٍ كما يتصورها لوحده، تقف معارضة لعقله من حيث كل شكل من الكلام، الصياغة والقانون والعقيدة، إنه يتحدث فقط عن الأشياء الباطنية، الحياة أو الحقيقة أو النور هي كلماته التي يعبر بها عن ما هو أعمق باطنيًا وفي بصيرته كل شيء آخر بما في ذلك الحقيقة وكل الطبيعة وحتى اللغة ليس لها قيمة إلا في كونها كعلامة أو رمز"

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 **تاريخ النشر 2022/09/25**

(Nietzsche,1931,Sec,32,p.99)، والبصيرة للباطن والباطن يقتضي التأويل، على أن للباطل نداءاته التي يجهلها العقل إن لم يكن بالأساس قاصراً على فهمها، ولا نستغرب تهجم نيتشه على الكهنة، ونعتهم بأقدح النعوت خاصة وأنهم عمدوا إلى جعل الناس يقعون في الخطأ والكذب، حتى أنهم أوقعوهم في الخلط بين "العلة والمعلول" ''Cause and effect'' وهذا ما أطلق عليه نيتشه "الفساد الحقيقي للعقل"، ولذلك صرح بقوله "يعتبر الكهنة والمشرعون الأخلاقيون هم أصل فساد العقل" (Nietzsche,1997,Sec,1,p.30)، لَمّا قاموا بمصادرته لمصلحة الدين.

أخيراً بالرغم من أن لا حقيقة في الدين كما تبين لنيتشه، خاصة وأنه بالأساس في مجمله يقوم على فرضيات تفتقر تماماً لآلية واقعية تربط بين الإنساني من جهة والمطلق الذي يقول به الدين من جهة أخرى، ويتسامى على الروح الإنسانية باعتباره المبدأ الجوهري لها وقوة تطورها، فهنا يُطرح سؤال على قدرٍ من الأهمية مفاده: هل تبقى هناك حاجة للمسيحية التي تبين غرضية كهنتها من ورائها؟ الواقع أن نيتشه لم يشأ أن يشن حربًا على المسيحية بالرغم من أن ذلك كان ممكنًا وربما يلقى قبولًا "إذا شننتُ حربًا على المسيحية، فإنه من الأفضل لي القيام بذلك، لأنني لم أواجه أي مصائب وصعوبات من تلك الأوساط، فقد كان المسيحيون المخلصون دائمًا ودودين معي" (Nietzsche,1968a,Sec,7,p.21)، ولم يكن موضوعه شن حرب عليها، وربما ذلك يعود إلى ما يراه من دور لها على الأقل "يبدو لي أن أغلب الناس بحاجة إلى المسيحية حتى اليوم في أوروبا القديمة ولذلك لازالت تحظى بالمؤمنين بها؛ ذلك أن من طبيعة الإنسان إذا كانت حاجته بإيمان ما، فإن هذا الإيمان لو دُحض ألف مرة لن يتخلى عنه ويشكك في حقيقته، وفقًا لـــ"اختبار القوة" الشهير الذي يتحدث عنه الإنجيل" (Nietzsche,1974,Sec,347,p.287)، والواضح أن مبدأ المحافظة ''Preservation'' لعب دوراً حاسماً في قناعة نيتشه هذه.

ثالثاً: الحقيقة العلمية:

ساحة أخرى من ساحات البحث عن الحقيقة هي العلم الذي يهتم بالبحث في الحاضر وينسى ماضيه ولا يهتم بأمور المستقبل البعيد المجهول، وهو مستمر في نموه وفي كل مرة ينمو فيها يزداد تأكد العلماء من أنهم إن ما عرفوه هو القليل، وفي كل مرة هو إظهار لمخفي يحقق اضافة جديدة للإنسانية، وكان الرهان في ذلك على المضي قُدمًا وطي العصور لإحداث التراكم العلمي الذي تشترطه الاكتشافات العلمية الجديدة فكأنما "لوكيوس سينيكا" (4-65م) قد استشرفَ ذلك حينما قال في

حديثه عن دوران النجوم التي تسقط من الارتفاعات الهائلة "سيأتي اليوم الذي ستظهر فيه الأشياء المخفية الآن، من خلال الدراسة التي تجري متابعتها عبر عدة عصور مع الأدلة وستندهش الأجيال القادمة من الحقائق الواضحة التي لم تتسنى لنا"، فالعلم لغز وقد بدا كذلك لسقراط الفيلسوف بما يتضمنه من خفايا وأسرار قادرة على اماطة اللثام عن الكثير مما يبعث على الهروب من التشاؤم والدهشة وربما حتى الخوف "العلم ذاته، علمنا، ينظر إليه على أنه مظهر من مظاهر الحياة، فما الذي تعنيه حقيقة كلمة علم؟ هل يحتمل أن يكون المنهج العلمي مجرد خوف وهروب من التشاؤم؟ هل هو دفاع خفي ضد الحقيقة! من الناحية الأخلاقية فإنه شيء من هذا القبيل، ضرب من الباطل والجبن وبصورة غير أخلاقية، هل هو نوع من الحيلة؟ آه يا سقراط، سقراط، هل ربما كان هذا مكمن سرك؟ أيها الساحر الغامض هل ربما كان هذا سبب وموضع سخريتك؟" (Nietzsche,a.1910, ,Sec,1,p.16)، والواقع، أن العلم يضعنا في مواجهة الحقيقة مع ذاتها بما يفرضه من شروط موضوعية، تُحتِم علينا التعاطي معها للوصول إلى نتائج مرجوة تتأكد كلما تخلينا عن تحيُزاتنا الذاتية الضيقة، فتنكشف بذلك أسراراً تُنذِر بالتفاؤل والأمل والتقدم للإنسانية لما كان العلم في التحليل الأبعد له لا ينتمي لعرقٍ ولا لتوجهٍ ولا لدينٍ، فغرضه هو تمليك الإنسان عناصر القوة على الصُعد الحياتية كافة، وهدفه النهائي هو تسخير القدر الأكبر من السعادة للإنسان وتجنيبه البؤس، وعلى مستوى ماهيته فيمكن النظر إليه على أنه التعبير الذي يُصحح ويُنسق التجربة الإنسانية، وأعمق ما فيه البحث عن الحقيقة المستهدفة المخفية ليتسنى بعد ذلك جلبها إلى النور لخلق استقرار ما، بعد تخصيص مكان لها في النظام العام للحياة الإنسانية، وهو حين يستند إلى منهج فإنه لا يقصد غير الانتقال بالوعي الفردي إلى القالب الموضوعي العام، حتى يتسنى للفرد التحدث بوصفه عضو ضمن الوعي العلمي العام وليس انطلاقًا من قناعاته الشخصية الضيقة الخاصة، على أن لا يتماهى الفرد إلى النهاية مع وجهة نظر العلم التي ترمي لإخضاع العقل للمادة ومن ثم الإنسان للطبيعة، ولا غرو في ذلك طالما أن كل علم هو في جوهره الأعمق مادي ويتحتم عليه التعامل مع الواقع بما هو موجود فحسب، وهو يبحث الفرضيات لا القناعات، وكل فرضية لم تُخضع للبحث وفقًا للشروط الموضوعية للعلم حتمًا تقع فريسة للشك، وحكمها حكم القناعة الذاتية الشخصية التي لا تخضع للدراسة والبحث في مشرحة العلم، فللعلم قوانينه الصحيحة والصادقة التي متى أُتبعت فتحت بابًا جديدًا أمام حقيقة ما كانت خافية، فأي فرضية تبقى مؤقتة وغير يقينية إلا إذا أُخضعت للتدليل التجريبي عليها بغية إثباتها فإذا ما تضمنت شروط الصحة والصدق صارت يقينية ولا يمنع ذلك بقائها مؤقتة لما قد يرد من

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

أدلة جديدة قد تُحدث فيها تغييرًا ما، وعلى الرغم من أن ما يبحثه العلم التطبيقي في مجمله طبيعته ماديه إلا أن العلم ذاته طبيعته مجردة، وتصدر عنه نتائج قابلة للاستنتاج في صورة قانون يمكن اختباره بصورة مباشرة على الأساس التجريبي لقبوله على أنه صحيح وصادق، تكون حقيقته مؤقتة لكونه عرضة للتعديل أو التغيير؛ وذلك لأن أدلته تتسم بأنها ذات صلة بالعُلوم على الدوام، وهذا ما يبقي الباب مفتوحًا لتعديلها أو حتى تغييرها وربما إلغاؤها، وبالتالي فإن حقيقة العلم ليست نهائية، وبعبارة أخرى، ليست مؤكدة وثابتة بشكل مطلق، ومع أننا نشير إلى أنها قانون أو نظرية إلا أنها تظل فرضية، والقانون أو النظرية مقبولان من جهة العلم، ولا يكفي القانون أن يكون متطابقًا مع الأدلة، وإنما ينبغي أن يكون كذلك متسمًا بطابع التماسك الذي يظهره بمظهر الاتساق Consistency مع كل ما يعتبر معروفًا أو من شأنه أن يقدم أدلة كافية لإحداث أي تغيير جذري يتطلبه.

لذلك كله جرى النظر للعلم بوصفه يتضمن القوانين والمبادئ التي ما إن أُتبعت فإنها ستكفل بالضرورة استكناه الحقيقة، وكأبسط مثال على ذلك مبدأ العلية أو السببية، الذي يتم فيه ربط النتائج بالمسببات ويفضي لنتيجة تستوجب التسليم بها، والعلم حينما يقوم بذلك إنما يقصد سد فراغات ما متعلقة في جوهرها بدافع البحث عن الحقيقة، وكدورٍ نهائي له يعمل على تعميم النتائج التي ينتهي إليها ومن ثم حفظها لإمكانية الاستفادة منها في المستقبل.

هكذا بدا العلم على الأقل حتى الزمن الذي عاصره نيتشه، وقد شهد العلم أعظم تحولاته نحو المستقبل بدرجة لم يشهدها طيلة القرون السابقة، لكن السؤال هو هل كانت الحقيقة العلمية تُلبي رغبة نيتشه والحقيقة التي يرمي إليها وهو الذي يسعى لإعادة تقييم كل القيم؟

الواقع أن نيتشه ومع كل ما تقدمه العُلوم من حقيقة من خلال مناهجها التي يمكن التحقق منها بتطبيق المنهج المتبع ذاته على تجارب أخرى ذات صلة بنتيجة سابقة ناجحة تمت صياغتها في صورة قانون للظاهرة المرصودة، فإنه يمكن بالتالي توقع نتيجة مماثلة "ناجحة" كسابقتها، إلا أن كل حقيقة صادرة على هذا النحو ليست حقيقة بالنسبة لنيتشه؛ ذلك لأنها في نظره تظل بين اليقين والاحتمال القابلان بطبيعتهما للمقارنة بالرغم من وجود اختلاف جوهري بينهما لما كانا حالتين عقليتين، مما يفتح المجال أمام أقل مصدر للخطأ والزيف، وبالتالي يُنشئ لعدم وضوح الحقيقة، ويقيم العلم عليها حقيقة توصف بالمطلقة أحيانًا ويجري تعميمها!، ونيتشه يرفض الإطلاق والتعميم ولو كان أساسهما من الرياضيات، فإذا كان "ديكارت" قد لجأ إلى اليقين الرياضي، فإن علوم الرياضيات في أساسها تنطلق من

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

أسسها ووسائلها "الفرضية" للتحقق من الحقيقة كلٌ من الاستقراء والقياس، وهما يستندان إلى الاحتمالات، ثم أن الرياضيات من حيث النشأة "لم تكن لتظهر للوجود إذا كان المرء قد عرف منذ البداية أنه لا يوجد في الطبيعة خط مستقيم بالضبط ولا دائرة فعلية ولا مقدار مطلق" (Danesi,2004,p.71)، وبما أن أمر الرياضيات كذلك فحقيقتها لا توصف بأنها موضوعية ثابتة مطلقة، بغض النظر طبعًا عما إذا كانت هناك حقيقة مطلقة أو لم تكن، ولا يقبل البتة ما رآه على البعض من الزهو بملكيتهم للحقيقة بناءً على ذلك "الكبرياء المتغطرس والكاذب لأولئك الذين يفترضون أن البشر يمتلكون آلية الحقيقة" (Nietzsche,1979,p.p.79-80)، فامتلاك الحقيقة محض هراء وخرافة، ولا يعيب الرياضيات التذبذب من حيث موضوعية حقيقتها، فقد أقرَّ نيتشه بإمكانية الرياضيات في غياب الميتافيزيقيا ثم أنه جعل من عموم المعرفة البشرية إما بالتجربة أو بالرياضيات "الرياضيات ممكنة في ظل ظروف لا تكون فيها الميتافيزيقيا ممكنة أبدًا، وكل المعرفة البشرية هي إما تجربة أو رياضيات" (Nietzsche,1968b,Sec,530,p.288)، لدرجة أنه تمنى اقحامها في كل العلوم لما لها من مقدرة على اعانة البشر في تحديد علاقتهم بالموجودات والأشياء بفضل ما تتمتع به من دقة وصرامة "دعونا ندخل الرياضيات في كل العُلوم بما أن ذلك في امكاننا، وذلك ليس انطلاقًا من الإيمان بأننا سنعرف الأشياء بصورة أفضل من خلالها، وإنما بغية تحديد علاقتنا الإنسانية بالأشياء، فالرياضيات ليست مجرد وسيلة للمعرفة العامة والنهائية للإنسان" (Nietzsche,1974,Sec,246,p.215)، فهي إذن تُقْحَم لدقتها وصرامتها بغية تحديد علاقتنا الإنسانية بالأشياء، على أن ذلك لا يعني أننا نعتبر الرياضيات كوسيلة بحيث نرد لصيغها ومعادلاتها ما يستعصى على أفهامنا "وينبغي أن لا يتم رد شيء لفهمه من خلال المعادلات والصيغ الرياضية، فالمرء إن فعل ذلك ينبغي أن يتأكد مرارًا وتكرارًا بأن لا شيء يتم فهمه على الإطلاق من خلالها، بل سيجري تحديده وتشويهه" (Nietzsche,1968b,Sec,554,p.300)، وهذا يشير بوضوح للإيمان المترسخ لدى نيتشه من كونه كما قال عن نفسه "أفهم بروح العلم الاعتقاد الذي ظهر لأول مرة في شخص سقراط، وهو الإيمان بقدرة الطبيعة على فهم الطبيعة وبالمعرفة كونها الدواء الشامل والشافي" (Nietzsche,a.1910,Sec,17,p.93)، والمعرفة المقصودة هنا هي تلك التي أشار لها سقراط أول مرة والمتمثلة في الخيط التوجيهي للسببية "Causality" التي بتتبعها بإمكان الفكر أن يبلغ أعمق هاوية للوجود، ويصير في مقدوره ليس أن يعرف فحسب بل أن يصحح الوجود.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

وإذا كانت الموضوعية من أهم ما يشغل بال من يقومون على العلم ويعتبرون الاتفاق عليها قضية جوهرية لتحصيل النتائج المرجوة للعلم، فإن نيتشه يرى ذلك أمرًا معيبًا لكونه لا يخلو من القوة والفرض، حيث يفسر نيتشه اعتبار مفهوم الموضوعية كقيمة مشتركة بالإلزام على المشتغلين بالعلم، من شأنه أن يرهن العلماء لآلية الموضوعية التي توجه ذاتها إلى الاتفاق الضروري الذي بطبيعته لا يكشف حقائق العالم بقدر ما يعمل على تطبيع التجربة، ومن ثم يُغيب القائم على العلم بشكل تام وما عليه إلى الانقياد نحو ما تفرضه نتيجة تلك التجربة، والتسليم بالاتفاق والانجرار في موكب المتفقين وأن لا يعترض وإلا سيحكم عليه بالجنون "هنا كل فرد يريد الشيء نفسه، كل فرد متساو مع نفسه ومن يشعر بصورة مختلفة عليه أن يذهب بإرادته إلى مستشفى المجانين" (Haase,2008,p.23)، وليس معنى ذلك أن نيتشه يدعو للإقرار بالقناعات الشخصية وترك هامش لها عند ممارسة البحث العلمي عن الحقيقة، فتلك القناعات كانت وستظل أبدًا في نظره سجونًا وأن معتنقيها يقبعون في السجن وذلك لأنهم "لا يرون بعيدًا بما فيه الكفاية، كما لا يرون ما هو دونهم: في حين أن الذي يتحدث لأي غرض عن القيمة وغير القيمة ينبغي أن يكون قادرًا على رؤية خمسمائة قناعة تحته وخلفه، وأن العقل الذي يتطلع إلى الأشياء العظيمة والذي يريد الوسيلة لذلك هو بالضرورة متشكك" (Nietzsche,1931,Sec,54,p.153)، والتشكيك مطلب من المطالب الضرورية إزاء أي بحث بالنسبة لنيتشه، حتى عده "ميشال فوكو" (M.Foucault"(1926-1984) من ضمن أكبر ثلاثة فلاسفة عُرفوا بالشكاك ويقصد "ماركس ونيتشه وفرويد"، هذا بالرغم من اقرار نيتشه بأننا في الوقت الحاضر "نمتلك العلم تمامًا إلى الحد الذي قررنا فيه قبول شهادة الحواس، وإلى الحد الذي تعلمنا فيه أن نشحذها ونزودها بالأدوات ومن بعد ذلك نتابعها إلى أقصى حدودها" (Nietzsche,1997,Sec,3,p.19)، لكن العلم الذي يقصده نيتشه هنا ليس ذلك الذي يفهم ذاته على أنه يؤسس للحقائق الواقعية وفي تحليله الأبعد ينتمي إلى عالم الأخلاق، وذلك لأن ما من حقيقة تكمن وراء الواجب الأخلاقي إلا وهي كذبة وتزييف للواقع، بسبب أنها تصبغ صبغة رياضية على ذلك الواقع وهو الشيء الذي يشير بوضوح في صميمه للفكر البشري، ولذلك حتى لا يجري الوقوع في هذا الشرك ينبغي على العلم أن يتذكر بأنه "فن نسي أنه فن، وأنه لكي يكون حقيقيًا كان علينا أولًا أن نخلق الإنسان الذي يمكن أن يكون كذلك" (Haase,2008,p.p.23-4)، بالرغم من أنه سبق وأن رأى احتمالية أن يكون الفن مرتبطًا بالضرورة بالعلم، وإذا كان العلم يبحث في محاولة منه للوصول إلى

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

الحقيقة، فإن الأعمال الفنية والتجربة الجمالية لا تقلان في حيويتهما من حيث رفاهية الإنسان عن محاولة الوصول للحقيقة أو أكثر، ربما ذلك يعود لإيمانه كما قال بقبح الحقيقة، ولذلك "نحن نمتلك الفن لئلا نهلك من الحقيقة" (Nietzsche,1968b,Sec,822,p.435)، ولعل هذا ما جعله ييأس من العلم في أحيانٍ كثيرة كما يأس من الفلسفة "ما يجعل الفلسفة ثرثرة للغاية ليس عمق الفلاسفة، بل افتقارهم إلى الفن، إنهم كالأطباء الذين سعوا إلى علاج فرط الحموضة الطفيف بإعطاء المريض عربة ممتلئة بأصداف المحار المحروق للأكل" (Nietzsche,1931,Intro,p.33)، وعليه آمنَ مُقِرًا بضرورة الترحيب والامتنان بالفن والتسليم بأن "ادراك الكذب العام والحنان الزائف الذي يأتي إلينا الآن من خلال العلم، وإدراك أن الخداع والخطأ هما شروط المعرفة والإحساس البشري، ستكون جميعها أمورًا لا تطاق على الإطلاق" (Nietzsche,1974,Sec,107,p.163)، وليس معنى ذلك اليأس الذي لدى نيتشه من العلم يمنعه من عدم الإقرار بصورة نهائية بأن: "العلم ... ليس له اعتبار للأغراض النهائية أكثر مما للطبيعة، ولكن مثلما تحقق الاخيرة أحيانًا أشياءً ذات ملاءمة أكبر دون نية القيام بذلك، فإن العلم الحقيقي أيضًا باعتباره مقلدًا للطبيعة في الأفكار سوف يفعل ومن نواحٍ كثيرة المزيد لنفع الإنسان ورفاهيته، ولكن أيضًا دون قصد القيام بذلك" (Nietzsche,b.1910,Sec,38,p.58)، وإذا كان ثمة فائدة تُرجى من وراء العلم ويُشاد بها فهي أن العلم يجعل من الإنسان معتمدًا على نفسه بحيث لا يكون فريسة سهلة لمن أحاطوا أنفسهم بهالة القداسة.

إن قلب القيم رأسًا على عقب حتى تقف على رأسها من شأنه أن يعمل على تلبية مفاهيمها، هكذا كان نيتشه يؤمن في تناوله للقيم بالبحث، والواقع، أن الفلسفة تتفق مع رؤية نيتشه هذه، إذ الفلسفة بالأساس هي بحث وتمحيص دؤوب للمفاهيم قبل وضعها قيد الاستخدام "وضع مفاهيم في اللسان "Conseptualizing in language"، وأن الفلاسفة إنما يستخدمون المفاهيم للحديث عن العالم" (Weitz,1988,p.Xiv.p.260)، فكثيرًا ما كانت قيمة ما تتضمن بذور نقيضها، وقيمة الحقيقة من ذلك فقد تتضمن ما تبدو لنا حقيقة مطلقة وفي طياتها ما يحمل على عكس ما يبدو، فكم من أمور كانت في الماضي حقائق لا تقبل النقاش صارت لعكسها تمامًا، فلم يعد يؤمن ولا يقبل المرء مثلًا أن يكون صوت الرعد تعبيرًا عن غضب الإله، أو أن يكون البرق هو الوميض اللامع لسيفه، وغيرها من الأمثلة الكثيرة، فبذرة الحقيقة قد تكون في الكذب لما كان مدعاة لتمحيصه بُغية الوصول للحقيقة وهكذا، لذلك اعتبر نيتشه بأن ثمة نداء للحقيقة لا يلتفت إليه إلا من استطاع تحقيق وجوده فعلًا، كما

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

أن للحقيقة إرادة لا تتحرك إلا عند من يحيا حياته سطحًا وعمقًا، ولن يبلغ الحقيقة إلا من كان مدفوعًا بهذه الإرادة وتلك الحياة "إن من لا يسمع "إرادة الحقيقة" وراء الظاهر ولا شيء سواها لا يمكنه التباهي بإذنٍ ثاقبة، وفي حالات متفرقة ونادرة، قد يكون لإرادة الحقيقة هذا الإسهام الفعلي" (Nietzsche,1989,Sec,10,p.16)، فبلوغ الحقيقة على هذا النحو هو جهد يقوم به المرء بنفسه ولا يرثه ولا يكتسبه من غيره، بعيدًا عن القناعات التي تُعد في نظر نيتشه أخطر من الأكاذيب على الحقيقة، تمامًا كتجربة شخصية للمرء قبل كل شيء، وذلك لما كنا جميعًا "نفتقر لأي آلية لحصول المعرفة إلى الحقيقة، فنحن لا نعرف (أو نعتقد أو نتصور) بقدر ما يكون مفيدًا للقطيع البشري، وحتى ما يسمى "النفع" هو في النهاية مجرد اعتقاد وربما هو على وجه الدقة الغباء الأكثر مأسوية الذي سنهلك بسببه" (Nietzsche,1974,Sec,354,p.300)، ولذلك فإن الحقيقة ليست موجودة البتة بالنسبة إلى من لا يقوم بتعقبها ورصدها بالتزام الحياد، على أن المشكلة الأكبر لأي مراقب يحاول رصدها هي ذاته التي هي جزء من هذا الوجود "العالم" الذي وجدت نفسها فيه، وبالتالي ليست مفصولة عنه بل منخرطة فيه وكل تفسير تقدمه عن شيء يصعب أن يكون موضوعيًا ومحايدًا، ومن ثم لن يصل للحقيقة إلا "المرء الحكيم، والتقي، والفاضل، الذي يؤمن بأن العالم يعيش فيه ويجسده" (Maudemarie,1990,Sec,111)، وهذا المرء لكي يكون على هذا النحو، ينبغي أن يكون حرًا متحررًا من كل ما من شأنه تقييده أو شده للوراء، سواء أكان على المستوى النفسي، أو الاجتماعي، أو الديني، أو أيًا كان، يُقبلُ على الحقيقة صافيًا متطهرًا من كل ما علق أو تأثر به ملؤهُ التفاؤل والرغبة الجامحة لوصولها، ومستعدًا لمقاطعة بل ومحاربة كل ما من شأنه أن يَحُول بينه وبين مُناه "نحن ذاتنا، الأرواح الحرة على استعداد للتحول بكل القيم، اعلان بادٍ للعيان للحربِ على كل المفاهيم القديمة للحقيقي واللاحقيقي" (Nietzsche,1931,Sec,13,p.57)، وهو في ذلك عليه أن لا يبالي بما قد يعترضه ويتعرض له من القطيع، الذين يركنون إلى الجاهز من الأحكام والتسليم بعدم استطاعتهم لارتياد المجهول للكشف عن الحقيقة، بدافعٍ من كسل ذهني أو خوف أو حشمة زائفة تعتريهم، وتمنعهم من الخروج عن الجموع، أو عجزهم عن الرغبة في صياغة وسبك أحكام جديدة تُعري وتكشف زيف ما احتكموا إليها من أحكام سابقة، وقد حدث ذلك من قبل للكثيرين "كل المناهج وكل أسس روح العلمانية اليوم كانت مستهدفة لآلاف السنين، وكانت تُعد موضع احتقار، فلو حصل أن كان هناك ميلًا لأحدٍ منهم نحو ذلك، فإنه كان يُنْفَى ويُحَطُ من قدره وينظر إليه على أنه "عدو للإله"

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 تاريخ النشر 2022/09/25

(Nietzsche,1931,Sec,13,p.57)، وبالتالي رَكَنَ الكثير إلى الدعة والأريحية مع الجاهز، ومن طبيعة البشر أنهم يألفون القديم ويعادون الجديد، وصارت لهم أسبابهم في الاصرار على اللاحقيقة وهو الموقف الذي يُرجعه نيتشه إلى الاستسلام إلى حُمى العواطف التي لطالما كانت تعمل ضد الذات الإنسانية "كنا نعاني جميعًا غباء البشرية المثير للشفقة ضدنا، فكل فكرهم لما ينبغي أن تكون عليه الحقيقة وما يجب أن تكون عليه خدمة الحقيقة، فكل جهد جرى توجيهه ضدنا" (Nietzsche,1931,Sec,13,p.57)، مما زاد في عمر الكذب والتزييف الذي يلوث مناخ الفكر البشري بوجه عام من جهة، وزاد في صعوبة المهمة حتى صارت "خدمة الحقيقة من أكثر الخدمات مشقة" (Nietzsche,1931,Sec,50,p.143)، لِمَا في طريقها من منعرجات تعاكسها وتعاديها.

هكذا بدت الحقيقة من خلال مؤلفات مختلفة لنيتشه وقد تمكنا من رصدها على نحو ما تقدم، ومن الواضح أنها في نظره إن لم تكن إلا زيفًا وتزييفًا للحقيقة، وقد تساوت في ذلك الرؤى المعروضة على اختلافها، وجميعها ضلت الطريق إليها وصارت مُضَلِلة لكل من سار على نهجها، وعليه فكيف يرى نيتشه الحقيقة إذن؟

في كتابه "ما وراء الخير والشر" يستهل نيتشه حديثه عن إرادة الحقيقة، تلك الإرادة التي أغرت العديد من الفلاسفة وقادتهم نحو مشاريع وصفها بأنها محفوفة بالمخاطرات، يتحدث عن تلك الحقيقة الشهيرة التي تمتعت بشهرة غطت قرونًا طويلة من عمر الفلسفة، كما حظيت بتبجيل الفلاسفة على الدوام حتى العصر الحاضر، لدرجة ظن البعض معها أن كل شيء قد انتهى بشأن الحقيقة و لم يبق ما يمكن إثارته، وعن هذه الثقة يعتمل فكر نيتشه طويلًا كما لو كانت نفثته نفثة مصدور وأنَّات مقرور معبرًا عن دهشة عميقة قائلًا:" يا لها من أسئلة غريبة ومحيرة ومثيرة للشك!" (Nietzsche,1989,Sec,1,p.9)، ترى عن ماذا تدور تلك الأسئلة الغريبة والمحيرة والمثيرة للشك؟ ويجب أن نقف عند أسئلته وحيرته وشكه، خاصّة وأننا لسنا أمام فيلسوف تقليدي بما تعنيه الكلمة، وإنما أمام من قرن قدره بـــ"أعمق رجة في الوعي" ليس موضوعه التحدث لعامة الناس، بل إلى ما يتخطاهم من خاصة الخاصة، الذين يمكنهم فهم ما قصده بقوله "فالحقيقة هي تنطق من خلالي لكن حقيقتي فظيعة، ذلك أن الكذب هو الذي ظل يُدعى حقيقة حتى الآن" (Nietzsche,1968a,Sec,1,p.90)، إذن لنيتشه حقيقته الخاصة المختلفة عن حقيقة غيره، ونحن نعلم أن كل فيلسوف اهتم بالحقيقة كان يبدأ بالسؤال الذي مؤداه: ما حقيقة كذا؟ وكيف يتسنى لنا بلوغها؟ وما إذا كانت نسبية أو مطلقة؟ وغيرها

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ النشر 2022/09/25 تاريخ الاستلام 2022/06/15

من الأسئلة التي من شأنها البحث عن الحقيقة، فحقيقة نيتشه هي حقيقة أخرى غير تقليدية بما أنه يصف كل بحث انتهى إلى نهاية حكم عليها بالحقيقة هو حكم باطل لكونه اعتبر الكذب حقيقة!، وعلى ذلك نقول جرى بحث الحقيقة من حيث هي قيمة نحكم بها على ما بين أيدينا لغرض البحث، أما الحقيقة كونها قيمة في ذاتها حسب رأي نيتشه لم يتم إخضاعها للبحث، ولذلك طرح سؤالًا يرمي لبحث ماهية الحقيقة ذاتها وذلك بالسؤال عن الإرادة ذاتها التي تدفعنا للبحث عن الحقيقة، أي لماذا لا نريد "اللاحقيقة واللايقين وحتى الجهل؟ هل لأن قيمة الحقيقة فرضت ذاتها أمامنا أم أننا نحن من فرض أنفسنا على مشكلة الحقيقة؟ فمن منا ههنا "أوديب" “Oedipus” (Nietzsche,1989,Sec,1,p.9)، وفي الواقع أن ما يدفعنا إلى الحقيقة هو وعينا الذي يُملي علينا حب الحقيقة فيما يتجهز عقلنا لتكريس قدراته للبحث عنها واكتشافها، وكذلك جوانيتنا التي تنطوي على الشاهد لرفضنا للزائف من منطلق اعتباره شرًا، ذلك أن الوجود الذي نعيشه ويعيش فينا هو في حد ذاته طاقة تصنع القيم الثلاث الحق أو الحقيقة والجمال والخير، وبالتالي من الطبيعي مقابلة ذلك بالعدم بحيث يكون ما هو بخلاف هذه الثلاث هو سَلبٌ لها ويُعد شرًا، وبالتالي لا معنى للوجود بدون الحقيقة، وإن جرى الاختلاف في طريقة البحث عنها والوصول إليها والاتفاق عليها "فإذا كان من المفترض أن تكون حقيقة، فإنه ليس هناك حقيقة، ومن ثم فإنه من الواضح أن هناك حقيقة في نهاية المطاف" (Maudemarie,2002,p.3)، حقيقة تحسم أمر كل الحقائق.

والحقيقة من وجهة نظر نيتشه هي موضوع للإرادة، فمتى فكرنا في البحث فيها علينا على الفور استدعاء فكرة الإرادة، خاصة وأن التفكير ليس سوى مجموعة الغرائز والدوافع والعواطف، التي تُعد عمليات من مكنون العقل، فنحن عندما نتناول مسألة ما بتفكيرنا فإننا عقلًا لا يمكننا الاستقلالية عنه في طرح تفسيرنا له، الأمر الذي يعني ضمنًا وجود لإرادتنا الذاتية، كما يعني أيضًا وبصورة ضمنية تداخل الذاتي بالموضوعي، وعليه وفقًا لنيتشه "استبعاد الإرادة تمامًا وايقاف كل المشاعر بلا استثناء، وعلى افتراض أنه يمكننا القيام بذلك: حسنًا؟ أليس ذلك يعني أننا قمنا بإخصاء العقل؟" (Nietzsche,2007,p.87)، فلكي لا يحصل ذلك، ينبغي العمل ضد كل ما يدفع نحو شلل العقل وفساده لكونه نفي للإرادة، وكلما انتفت الإرادة خسرنا المقدرة على معرفة الحقيقة، والنتيجة هي "كلما كان فساد العقل أعمق، كانت عقيدة الخلاص أكثر ضرورة، أو بحسب تعبير شوبنهاور "النفي" (Nietzsche,1968b,Sec,83,p.52)، أي كلما قلّ السؤال عن الحقيقة كلما استسلم العقل إلى ما

جرى تجهيزه من طريق المقدس، وهذا ما يعني عند "شوبنهاور" الإرادة ونفي الإرادة بدوره هو نفي للحياة، فالعقل حتى لا يحصل له الفساد ينبغي عليه أن يسأل دومًا عن ما قيل بأنها حقائق وهي غير مُستساغة، حتى تتأكد إرادة القوة في الإنسان، حيث أن ضعفها يؤدي حتمًا للاستسلام لإرادة أخرى، وبالعكس متى حصلت القوة كان دافعًا للعقل إلى النظر بعيدًا وبصورة أعمق مما تبدو عليه الحقيقة الجاهزة، وهو قادر على أن يبحث ويتحرى ففيه نشاط حينما يكون بصدد السعي وراء ما يستوقفه ويجهله، جرى تشبيهه برحلة يكون الجهل فيها نقطة البداية والحقيقة نقطة الوصول، فمحاولة سعيه مبعثها ذاتي لكونها حالة ذهنية، فيما نقطة الوصول "الحقيقة" موضوعية أو هكذا تبدو، والحالة الذهنية هذه ما هي في الواقع إلا حركة داخلية للوعي تقوم على الاختلاف وتعبر عن القوة.

إذن الحقيقة فعلًا عند نيتشه هي موضوع لإرادة القوة التي تدفع العقل السليم من خلال حركته الذهنية الداخلية بمعزل عن أي عوامل خارجة عنه، وربما هذا التشريح في ذاته يعتبر شيئًا ينفرد به نيتشه ويحتمل أن يكون السبب في وصفه لحقيقته بأنها "تتحدث عنه"، كونه جعل لها آلية ذهنية تجري من خلالها واصفًا إياها بالمخيفة ومن شأنها أن تمكنه من ثم بما أخذ مهمته على عاتقه "لكن حقيقتي مُخيفة: لأن الكذب يدعى حتى الأن حقيقة – إعادة تقييم جميع القيم: وهذه هي صيغتي لفعل أسمى استجواب من قبل البشرية التي أضحت جسدًا وعبقرية بداخلي، قراري بأنني يجب أن أكون أول رجل محترم لأعلم أنني أقف ضد زيف آلاف السنين... كنت أول من اكتشف الحقيقة، وأول من شعر بالكذبة على أنها كذبة – لاستنشاقها ... عبقريتي تكمن في أنفي" (Nietzsche,1968a,sec,1,p.90)، ومن ثم كل حقيقة قُدمت هي وهم كونها لم تسبقها الحيرة المتعلقة بذات الحقيقة.

الخاتمة:

نخلص من خلال عرضنا مما سبق أن الحقيقة عند نيتشه هي شئ ينبثق من إحساس المرء الأول جراء انخراطه الفعّال في الوجود، الأمر الذي يمكننا معه أن نقول بأنها تجربة جمالية لشعور المرء المتأصل بالنشاط في مواجهة تحديات الحياة، وأن ما تعارف الناس عليها على أنها الحقيقة إن هي في الواقع إلا استعارات وعبارات مستخلصة من أشعار قديمة، صارت بفعل مضي قرون زمنية عليها تحتل مكانة مقدسة في قلوبهم لتتحول بعد ذلك لمكانة الزامية غاب التفكير في وقائعيتها تمامًا، لتتسم من ثم بالتعميم الذي يرفضه نيتشه لكونه أداة ما أنفك أصحاب مختلف الاتجاهات سواء كانت ميتافيزيقية أم دينية، أو حتى أخلاقية وسياسية يفرضونه على من سواهم ويقيّمون غيرهم من خلاله، بعد أن جعلوه معيارًا

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 8, No. 20, Sep. 2022
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد العشرون، سبتمبر 2022
Issn :2710- 4141
تاريخ الاستلام 2022/06/15 **تاريخ النشر 2022/09/25**

يحتكمون إليه، وكان من شأن ذلك أن أوصد باب ابقاء الحقيقة قيد البحث بل جعلهم يرتقون بها إلى مستوى العقيدة التي يحكم على من يرفضها بالهوس والجنون.

لقد سعى نيتشه إلى جعل الحقيقة مسألة فردية محضة لها علاقة وثيقة باستقلالية الفرد وقراراته الشخصية، حينما أقام للدافع الفني شأنًا يرقى به على التقدم العقلاني للعلم، لما كان يرى بأن البحث السليم عن الحقيقة ينبغي أن يكون مقامًا على الدافع الفني في المرء؛ ذلك لأنه وثيق الصلة بجوانية الفرد، ويعكس بصورة خالصة تجربته الفردية، ولا ينبغي أن يُفهم من هذا أن نيتشه يرفض الاتجاهات التقدمية تمامًا، ولكن يجب فهم أنه يقترح ترك قدر معين من الشك الذي يمنح المرء قدر من الاستقلالية الذاتية حتى يتجدد الإنسان ولا يعرف نهاية يقف عندها وينتهي بها وجوده.

ولئن كان البحث عن الحقيقة وفقًا لنيتشه يُعد كما لو أنه ارتياد واستشراف للمجهول، فإنه يؤكد على أن ذلك ينبغي أن يكون ضرورة من ضرورات وجودنا وطبيعة ملازمة له، فالإنسان بفضل العقل مطالب بالتخلص من الأوهام واغتنام الأحلام الحُبلى بعوالم المستقبل ومطالب أيضًا بتقصي البحث في المستحيل، بفضل ما له من وعي يمكنه من ذلك وأي محاولة لمنع العقل من القيام بذلك محكوم عليها بالفشل، لهذا السبب اعتبر ما اصطلح على أنها ثوابت معيارية قيمية كونية إن هي في الواقع إلا أصنامًا يجب أن تُهدم، ومن بين تلك الأصنام ما اصطلح على أنها الحقيقة.

المصادر والمراجع:

- Clark M., (2002) Nietzsche on Truth and Philosophy, Cambridge University Press.
- Clark, M., (1990) Nietzsche On Truth And Philosophy, Colgate University, Cambridge University Press, New York.
- Danesi, M., (2004) The Puzzle Instinct: The meaning of puzzeles in human life.
- Friedrich Nietzsche, The twilight of the idols, Eng Trans, By: Richard Polt, Hackett Publishing Company, Cambridge,1997.
- Haase, U., (2008) Starting with Nietzsche, Continuum Publishing, London.
- Kaufmann W., (1988) The portable Nietzsche, Penguin Books, The Viking Press.
- Nietzsche F., (1910) The Birth of Tragedy, Eng Trans, By; Wm.A.Haussman, Edition created and published by Global Grey.
- Nietzsche, F., (1910.b.) Human All – Too – Human, Eng Tran, By: Hellen Zimmern, Edinburg: And London.
- Nietzsche, F., (1931) The Antichrist, Eng Trans, By: H.L Mencken, Alfred.A.Knopf,New York.
- Nietzsche, F., (1968.a) Ecce Homo & The Antichrist, Eng Trans, By: Walter Kaufmann and R.J. Hollingdale, Vintage Books, New York.
- Nietzsche, F., (1968.b.) The Will To Power, Eng Trans, By; Walter Kaufmann & R.J. Hollingdale, Vintage Books, New York.
- Nietzsche, F., (1974) The Gay Science, Eng Trans, By: Walter Kaufmann, Vintage Books, New York.
- Nietzsche, F., (1979) Philosophy and Truth: Selections from Nietzsche's Notebooks of the Early 1870s, trans. D. Breazale. Atlantic Highlands, NJ.: Humanities Press.
- Nietzsche, F., (1989) Beyond good and evil, Eng Trans, By: Walter Kaufmann, Vintage Books, New York.
- Nietzsche, F., (2007) On the Genealogy of Moralit, Eng Trans, By: Carol Diethe, Cambridge University Press,.
- Nietzsche, F.,(1910.a.) Human All – Too – Human, Eng Tran, By: Hellen Zimmern, Edinburg: And London.
- Weitz, M., (1988) Theories of concepts, A history of the Major Philosophical Tradition, Routledge, London and New York.